هادي دانيال

اوراق للحرب والضجر

١ ـ امتص احشاء لفافتي ، واناجي وردة الحلم ..
ووردة الحلم ليست امرأة كما قد يخيل لكم ـ انها مدينة تعرفونها ، وتجهلونها أيضا !.
ليست أبنية وشوارع تضج بها عربات امراء النفط ـ انها قلب ينز دما .
بين أصابعها خواتم الغزاة ، افرد شعرها بين انامليّ . وأتابع الحلم :
في قمة الجبل اعري امرأة في الليل ، نحرق كتب الباطن والظاهر .. نجرع العرق ، ونرقص حول النار ، ونذرو رماد السرطان في الريح ! .
أهب في شوارع مدينة القلق ابتسامة ينخر اليأس خضرتها ، ومظلتي تقاوم المطر المسلح بالرياح ، تبرق السماء ، وتفتصب الطفولة لان الحرب حصدت رأس أمها ، وتنتسب عيناي للينابيع !.
يدي لم تومىء للشمس ، لانه موسم الليل والشتاء ..
وابتسامتي لا جذر لها في القلب ..، وتذبل اللفافة منتحبة قبرها ..
قالت الشجرة : مر بي شارع بين عينيه تقطيبة الخجل .
قالت « الشياح » : قرفت الجثث .. اين أشعة الشمس ؟.
قالت الارض : سئمت نفسي قبرا ، اين قبري ؟.
ولم تهمس العصافير ، لانها مشنوقة من حناجرها بأغصان اعمدة الهواتف .
قال الجفاف : لا خريف لي .. ،
وقالت الامطار : اضعت لوني .. ،
والمقاتلون لا السنة لهم ، لقد لجمت أفواههم بالبنادق ...
قال العاشق : من قتل حبيبتي ؟
قالت العاشقة : من قتل حبيبي ؟
وأنا أكتب ضجرا ، وليس عندي ما يقال !..

★ ● ★

٢ ـ لن أقرأ الآن ، ساكتب .
فاضت الذاكرة :
قال محمد : احمله كالصليب في شوارع الكبت .
تمتم سيف : علي ان ابني حزبا ثوريا .
لهج أمير : اغتصبت عذريتي بين المتاريس .
قال حيدر : المدينة تحترق .. لست حطبا ..
همهم أبو توفيق : فرغت زجاجة النبيذ .. ،
قال شريف : فليذهب العالم الى الجحيم .. ،
حدق نديم : انفجر البكاء من قلب امك ، وعيني ..
وقبل ان افتح فمي ، دوى انفجار بعثر الصمت على جدران الغرفة .

★ ● ★

٣ ـ عانق لهب الكبريت فم اللفافة ..
حنان تبرز مفاتنها ❊ ايمان تقنع نفسها بالتصوف والاكتفاء ذاتيا ❊ يسرى تنتظر المنقذ الذي لم يات ❊ ثائرة تفتش عن اسرة رجال السياسة الشاغرة ❊ فريال تمشط شعرها ، وتحلم بالبلوغ ..
وقبل ان تنفجر القهقهة في حلقي ، اختنقت بذكرى موعد غرامي !.

★ ● ★

٤ ـ نامت المدينة ، وذاكرتي تنبع :
فايز خضور : فان جوخ بتر اذنه ، ابراهيم زاير : لماذا انتحر مايا كوفسكي ؟ ،
هتلر : عزيزي الشيخ بيير نحن بخير ! طمنونا عنكم ،
جين فوندا : كان حلما مزعجا ! لقد زرت مكة ، محمد الماغوط : عزرا باوند كان نازيا ..
بعد ان مضغت لقمة الخبز والسردين ، ابتدأت حرائق التبغ.
سأكتب حتى الصباح !

★ ● ★

٥ ـ ناتالي ساروت ، تنهض من قبرها ، وتتجول في عين الرمانة ، وقبل ان تسجل اولى قصصها القصيرة جدا ، تريحها رصاصة قناص الى حفرة في جسد الشياح .

★ ● ★

٦ ـ هالوركا بربابته ، يغني على ايقاع الرصاص ، ويبتسم لبنادق الاطفال الخشبية .. وقبل ان اردد وراءه كلمات الاغنية .. انقطع وتر في حنجرتي .

★ ● ★

٧ ـ البلابل استحالت قنابل انهمرت فوق الاشرفية ، وقطعان الفيلة استحالت ملالات دمرت في القنطاري ..
وفي « كفر شوبا » ينزف جسد ابي ذر وعيسى بن مريم !.

★ ● ★

٨ ـ يطلعون من البحر بنادق وازهارا ، ومن البيوت وبين الاشجار تخرج البنات مزينات بالاصباغ ..
عادوا من الحرب مسربلين بالانتصار الواقف مذهولا على بوابات المدينة المنهوبة .. كان حلما ، ولا تفسير له .

★ ● ★

٩ ـ خبأت في ذاكرتي طائر المستقبل ، واطلقت من حنجرتي نعيق البوم .. لان الرصاص غبي يهمه القتل وحسب .

★ ● ★

١٠ ـ دقات الساعة تعلن تمام السابعة صباحا ، وكالعادة ، ينهض العامل والموظف والتاجر ، وقد تشرق الشمس على المدينة ، وقد يكون يوما ممطرا ويظل الاطفال فرحين ، او مذعورين من النوافذ او الشرفات .. ،وقد اصل الى المطبعة سالما ، فالحركة بدأت تدب حذرة في الشوارع ، لانك لاتضمن جسدك من رصاصة طائشة ، او شظايا صاروخ يمد يده قائلا : صباح الخير !

« الهدف » البيروتية
١٧ كانون الثاني ١٩٧٦